سلسلة مطويات شبكة بينونة

ليتك تكون مثلها

الشيخ
د. أحمد بن مبارك بن فزاع الزروعي

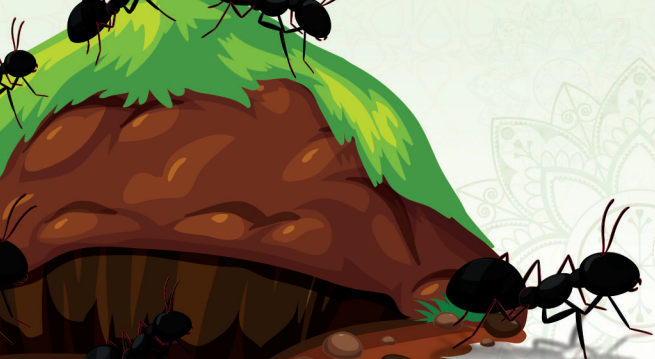

@Baynoonanet www.baynoona.net
@BaynoonanetUAE

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛

فإنه من جميل القصص، وعظيم المواقف التي ينبغي للإنسان أن يقف على معانيها، وينهل من معارفها قصة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٦-١٩].

- **هذه قصة عظيمة حوت مواقف جليلة.**

الموقف الأول: أن سليمان عليه السلام أوتي من الملك ما لم يؤت أحد بعده ﴿مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥]، هذا الملك لا ينبغي لأحد بعده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يعني هم على صفوف مرتبة، والحشر يدل على أن الجموع كانت كبيرة

جدا، على غير ذلك فيما سخر الله له من الريح التي تحمله حيث يشاء، مع هذا كان سليمان شاكرا، يطلب الله سبحانه وتعالى أن يعينه على العمل، وأن يلحق بالصالحين، لاحظ هنا ملك سليمان، ولاحظ ملك قارون التي كانت مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، ملك قارون ليس بشيء عند ملك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكن سليمان كان شاكرًا وقارون كان متكبرا جاحدًا، ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص :٧٨]، فالنعم إن أوتيت للصالحين فهي خير على خير، فتصبح هذه النعمة نعمة حقيقية، وإن أعطيها غير الصالح كانت في حقه نقمة، كما قال رسول الله ﷺ: « نعم الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ » [1] وتأمل سكون النعم مع الشكر، وفسادها مع الجحود والكفر، فقارون قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص :٨١]، و سليمان مد الله سبحانه وتعالى في عمره وملكه، فكانت نهاية هذا عز، ونهاية قارون الذل والتاريخ يكتب، هكذا بعض الناس مع النعم تعطيه القليل من النعم فيرى القليل كثيرًا، كما قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ، لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ » [2]، وبعض الناس إن أغدقت عليه وصببت عليه النعم صبًّا لا تجده إلا جاحدًا حاقدًا حاسدًا لا يرى هذه النعم ولا يشكر لذوي الفضل فضلهم، بل هو كل ما تعطيه يتمرد وكل ما تعطيه يجحد.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩).
(٢) رواه أحمد في المسند (١٨٤٤٩).

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

الموقف الثاني: أن الدنيا هذه مهما عظمت وكبرت وجملت فإنها زائلة، وإنما ثباتها بالشكر، وقد تزول بل لا بد من زولها، لذلك سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ شكر الله، وسأله أن يعمل صالحًا وسأله النعيم الذي لا يزول ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ ﴾ أي في الجنة ﴿ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ ولاحظ أنه طلب الجنة مع أنه كان في نعيم عظيم، فمهما جملت هذه الدنيا وعظمت واخضرت فهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

الموقف الثالث: وفاء النملة، فإن النملة وفيَّة لمجتمعها عندما أقبل سليمان بجنوده كان من السهل أن تفر لوحدها، ولكنها ناصحة صادقة وفيَّة لمجتمعها فنادت ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ﴾ حتى يلتفت إليها النمل ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ هناك جند عظيم سيأتي يمر عليكم وأنتم صغار ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ بينت لهم الخطر القادم، وبينت لهم مكان الإيواء الذي يبعدهم عن الخطر، ثم اعتذرت لسليمان وجنوده ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ما أحوجنا لأناس في المجتمع يكونون بمثل هذه الصفات، ينادون بالنصح والخير لمجتمعهم، يخافون على وطنهم وعلى بيئتهم وعلى أهلهم، يحرصون على إبعاد الناس عن مواطن الشر والفتن والضرر، ما أحوجنا لأناس ينصحون ويعذرون، هؤلاء قلوبهم كبيرة ونفوسهم عظيمة،

ليكن الإنسان كما قال النبي ﷺ: «مثلُ المُؤْمِن مَثلُ النَّحْلَة لاَ تَأْكُلُ إلا طَيِّبًا، وَلاَ تَضَعُ إلا طَيِّبًا» [٣]، ليكن الإنسان مثل هذه النملة نشيطًا حريصًا وفيًّا صادقًا ناصحًا، لكن للأسف بعض الناس مثل الذباب، لا يعيش إلا عشرين أو ثلاثين يومًا لكنه يطنك طنًّا ويوسعك إزعاجًا ويؤذيك إيذاءً حتى أنك تملُّه وتملُّ الجلوس في المكان الذي هو فيه، فبعض الناس كالذباب يظهر في مواقع التواصل الاجتماعي فيضج الناس ضجًا بشبهاته، وإيذائه وبذيء كلامه وسيء ألفاظه، وطرح الإشكالات التي تضر بالمجتمع، وتشق الصف ثم يذوب وينتهي، ويخلف وراءه ما يخلف من الفكر والفساد والشبه في قلوب الناس.

إذًا ليكن الإنسان حريصا على مجتمعه كما كانت تلك النملة حريصة على مجتمعها، لا تسبقك نملة إلى الخير.

الموقف الرابع: من المهم جدا أنك لا تنس والديك في دعائك وفي ذكرك لهم بالخير وتصدق عنهم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ كما كان بعض أهل العلم ما دعا في سجوده إلا وقرن دعاءه لوالديه بالخير والرحمة ولمعلمه، وباب بر الوالدين والدعاء لهم في القرآن شيء عظيم واضح بيِّن، أخفق بعض الشباب إخفاقًا عظيمًا وأخطئوا خطأ كبيرًا جدًا عندما عاملوا آباءهم بالسوء، وبذيء الألفاظ، والنظر باحتقار، والكلام معهم باستهزاء،

(٣) رواه ابن حبان (٢٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٥).

والداك كن لهم فراشًا، وكن لهم أرضًا لو استطعت أن لا يمشوا بأقدامهم إلا على ظهرك فاجعل ظهرك لهم جسرًا، واجعل مالك لهم نافعًا، لا يكن آخر من تفكر فيه من كان في قلبه أنت أول من يفكر فيك.

الموقف الخامس: من المهم أن يعمل الإنسان الأعمال الصالحة ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ شكر النعم ليس فقط بالقول الحمد لله وشكرًا وأشكر الله سبحانه وتعالى على النعم، الشكر له ثلاثة أركان: اعتراف القلب وذكر اللسان والعمل بمقتضى تلك النعم، كيف يشكر الإنسان نعمة المال وهو يبذره ويسرفه بالحرام، كيف يكون الإنسان شاكرًا لصحته وقوته وهو يسعى وراء الحرام، أو معاكسة النساء، أو شرب الخمر أو غير ذلك من المحرمات، ليس هذا بشكر ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين، وأسأله سبحانه وتعالى أن يحفظنا وإياكم، وأن يغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا، وأن يحفظ ولاة أمرنا، وأن يحفظ بلادنا، وصلى الله على نبينا محمّد.